العنف والإرهاب من منظور فلسفي

د.عبد الغني بوالسكك
قسم الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة باتنة 1

ملخص

يعد الإرهاب من القضايا السياسية الاجتماعية التي عانت منها الشعوب والدول والأمم، وماتزال، وبالرغم من تغير واختلاف النظرة إليه وإلى الأعمال التي تسمى إرهابا والتي لا تسمى إرهابا، إلا أن صوره تتعدد وتتغير من زمن لآخر ومن مجتمع لآخر، وهذا بالطبع ما أدى إلى اختلاف وتغير مفاهيمه وهو ما سنلاحظه أثناء تحليلنا الفلسفي لهذه الظاهرة وتناميها عبر التاريخ. نتناول تطور هذه الظاهرة وانتشارها خاصة في هذا العصر، عصر التكنولوجيا والانترنت، وظهور ما يسمى بالإرهاب العلمي (التكنولوجي) والبيولوجي والعابر للقارات، وارتباطه بظاهرة تُعدَ الأداة المغذية له ألا وهي العنف. ومن هنا كان لابد من فهم هاتين الظاهرتين فلسفيا.

الكلمات المفاتيح: عنف، إرهاب، مجتمع، فلسفة، ثورة، تمرد، عولمة.

Une perspective philosophique de la violence et du terrorisme

Résumé

Le terrorisme est considéré comme l'une des questions politiques et sociales dont souffrent constamment les peuples, les pays et les nations, en dépit des divergences d'opinions pour ce qu'on appelle «actes terroristes» et encore moins pour ceux qu'on n'appelle pas «actes terroristes ». Toutefois, les aspects du terrorisme semblent différents et multiples d'un temps à l'autre et d'une société à l'autre. Cependant, il y a changement dans la notions de terrorisme qu'on a analysé philosophiquement comme un phénomène qui croît au fil de l'histoire, de surcroît, on remarque bel et bien que ce phénomène est en progression autant en prolifération, très exactement en ce temps, bien plus à l'ère de la technologie et d'internet. En revanche, il y aurait ce qu' on appelle le terrorisme scientifique qui vient de surgir autant dire le terrorisme technologique, biologique et intercontinental, caractérisé par le phénomène de violence qui fomente surement le terrorisme, c'est pourquoi, il faut, déterminer philosophiquement les deux phénomènes.

Mots-clés: Violence, terrorisme, société, philosophie, révolution, rébellion, mondialisation.

Violence and terrorism from a philosophical perspective

Abstract

Terrorism is one of the political and social issues suffered by people, States and Nations, and still suffered, in spite of its change, its different perception and the different look at the businesses, which are called terrorism and which are not called terrorism. However, the forms of terrorism are numerous and vary from time to time and from one society to another and this is, of course, what led to a difference and change perceptions about terrorism, which we will see during our analysis of the philosophy of the phenomenon of terrorism and its growing throughout history. We will note the evolution of this phenomenon, and its spread especially in this era, the age of technology, the Internet and even the emergence of the so-called scientific (technological), biological and intercontinental terrorism, and its association with a phenomenon considering it as a nutritious tool, namely violence. Hence, it was necessary to understand philosophically these two phenomena.

Key words: Violence, terrorism, society, philosophy, revolution, rebellion, globalization.

مقدمــة

كان الإرهاب ولا يزال من القضايا السياسية الاجتماعية التي عانت منها الشعوب والدول والأمم، وبالرغم من تغير واختلاف النظرة إليه واختلاف النظر إلى الأعمال التي تسمى إرهابا والتي لا تسمى إرهابا، إلا أن صور الإرهاب تتعدد وتتغير من زمن لآخر ومن مجتمع لآخر، فما يعد في مجتمع عملا إرهابيا يعد في غيره غير ذلك، وهذا بالطبع ما قاد إلى اختلاف وتغير المفاهيم حول الإرهاب، وهو ما سنلاحظه أثناء تحليلنا الفلسفي لظاهرة الإرهاب وتناميه عبر التاريخ أو ما نسميه بأركيولوجيا الإرهاب، كما نلاحظ تطور هذه الظاهرة وانتشارها خاصة في هذا العصر، عصر التكنولوجيا والانترنت، بل وظهور ما يسمى بالإرهاب العلمي (التكنولوجي) والبيولوجي والعابر للقارات، وارتباطه بظاهرة تُعدَ الأداة المغذية له ألا وهي العنف.

وكثيرا ما ارتبط الإرهاب الداخلي بالدولة وسلطتها خصوصا الأنظمة التوتاليتارية وقوانينها الاستبدادية، وهنا تقول حنة أرندت (Hannah Arendt) "إن مكانة القوانين الوضعية في جسم النظام التوتاليتاري السياسي لا يني يتسلط عليها الإرهاب الكلي وينتزعها باعتباره مانح الحركة التاريخية أو الطبيعية وواقعها"[1].

فما هي المراحل التي مر بها الإرهاب كظاهرة؟ ما هي أسبابه؟ كيف تعددت النظرة إليه؟ لماذا يفكر الإنسان في العنف والإرهاب؟ ما الفرق بين الإرهاب والعنف والثورة؟

الارهاب وتناميه عبر التاريخ:

1- في العالم القديم ومفهوم المدنية والأغيار:

إذا اعتمدنا على المنهج التاريخي، وإذا عدنا إلى العالم القديم، وبالضبط إلى أهم الحضارات التي شكلت هذا العالم فإننا نجد مفهوم الإرهاب قد ارتبط بمفهوم أو تصور الآلهة وطاعتها أو عصيانها، ففي أثينا مهد الحضارات، وفي الأزمنة القديمة في اسبرطة كان مصير كل من يصوت لمصلحته ضد مصلحة الجمهورية يدفع إلى "آلهة الجحيم"، وعند الرومان كان الإله "جانوس" إله الحب له وجهان، وجه ينظر به إلى حدود الدولة متحديا العدو الخارجي، والآخر ينظر به إلى الداخل متحديا العدو الداخلي (المواطن) وكانت العقوبات القاسية لأعداء النظام تفرض عليهم وتهدف أساسا إلى بث الخوف في نفوس الجمهورية من خلال الحرمان من الماء حتى الموت، ثم تطورت إلى الحرق بالنار وإلقاء الأشخاص للحيوانات المفترسة، وامتد العقاب ليشمل الأفكار لا الأفعال، واستمر هذا الوضع في روما الملكية إلى أول عهد روما الجمهورية، حتى صدر قانون يحدد جرائم الدولة.

وربما بدأ تاريخ الإرهاب بما سمي أولا بالعنف الذي ارتبط بالإنسان وبغريزة حب الحياة أو البقاء والدفاع عن الذات، حتى أن هناك من اعتقد بأن الإنسان عنيف بطبعه، وأن غريزة العنف والدمار والإرهاب وحب الدماء فيه غريزة لا يمكن القضاء عليها ولا حتى تهذيبها، ومهما انتقل الإنسان من البربرية والتوحش والبدائية إلى الحضارة فإنه مازال وسيبقى عنيفا ويمارس العنف، بل إن المدينة والمدنية والحضارة والتحضر زادت من عنفه وإرهابه وجرائمه، بل إن الإنسان ارتكب أول جريمة في التاريخ ضد أخيه الإنسان، وعليه "فقد عرف الإرهاب كصورة من صور العنف السياسي في العصور القديمة، وإذا بدأنا بقابيل وهابيل فسنرى قصتهما محملة بقصص العنف"[2].

فالإرهاب في بدايته ارتبط بالعنف، وأول عنف مارسه الإنسان كان ضد أخيه الانسان، كما ارتبط الإرهاب كذلك بالعنف السياسي بعد أن انتقل الإنسان من المجتمع الطبيعي إلى المجتمع السياسي، هذا العنف السياسي

الذي مارسته الدولة أو السلطة أو المملكة أو الإمبراطورية في العصر القديم ضد الشعوب، كما حدث في أثينا "حيث تجاوز الصراع في أثينا أحيانا حدود المحاورات التي ابتدعتها الحضارة الإغريقية"[3]. فبالرغم من عقلانية وحكمة اليونان إلا أن صور العنف والإرهاب كانت منتشرة في هذه الحضارة، بل ويعتقد البعض أن إعدام سقراط هو نوع من الإرهاب الفكري، إرهاب الدولة وفي الحضارة المصرية "تحدثنا البرديات المصرية القديمة عن بعض وجوه الرعب والذعر والقسوة والعنف الناجم عن صراع دموي بين أحزاب الكهنة وغيرهم من أنصار أفكار معينة"[4].

وبالنسبة للأشوريين فقد عرفوا الإرهاب في القرن السابع قبل الميلاد، حيث استخدموا الوسائل الإرهابية على نطاق واسع ضد أعدائهم البرابرة، فكانوا يقتلون الرجال والنساء والشيوخ والأطفال دون رحمة، ودون تمييز في المدن التي يستولون عليها، كما عرف المصريون القدامى الإرهاب في القرن الثاني قبل الميلاد، وأطلقوا عليه اسم "جريمة المرهبين" حيث كانت هناك محاولة لاغتيال الملك رمسيس الثالث عرفت بمؤامرة "الجريمة الكبرى"[5]. أما عند الرومان فكانوا يطلقون اسم المجرم السياسي على كل من خرج عن الدولة، بل هو عدو الدولة.

وإذا عدنا إلى الأديان القديمة، ونظرتها إلى الإرهاب خصوصا الأديان السماوية، فنجد في اليهودية أن الإرهابي هو كل من رفض القول بحق اليهود، وكل من وقف ضد التهود، ولهذا فقد "تكونت في فلسطين مجموعة من المتعصبين عرفت باسم "Zélotes" تكونت من جماعات من السيكارى القتلة المأجورين قامت بعدة عمليات إرهابية بدافع ديني محض تمثلت في الاغتيالات والحرق والتدمير"[6].

فلقد ذهبت حركة الزيلوت "Zélotes" إلى القيام بأعمال عنف ضد كل ما يمت بصلة للإمبراطورية الرومانية وهنا يتبين لنا الطبع الإرهابي لدى اليهود وأنهم يحملون صفات الإرهاب منذ القديم، ومنذ الحضارات القديمة، وأن الإرهاب الذي مارسوه كان إرهابا عقديا ودينيا.

ولهذا فقد قامت الديانة اليهودية المحرفة على التعصب والإرهاب المذهبي، والتاريخ يشهد أن كتب التاريخ قد ذكرت "أن ملك نجران (ذو نواس) في الدولة الحميرية الثانية عام (300–525م) اعتنق اليهودية وحاول إجبار المسيحيين للدخول في الدين اليهودي، ولكن نصارى نجران رفضوا ذلك، فحفر لهم أخدودا وأشعل النار فيه وأخذ يلقي كل من يرفض الاستجابة لرغبته الدخول في الدين اليهودي"[7]. ولعل هذا ما جعل الإرهاب يأخذ طابعا دينيا أكثر منه سياسيا أو اجتماعيا، لأنه ارتبط بالتعصب الديني والمذهبي، والفكر الأيديولوجي، وعليه يقول أدونيس العكرة "ففي داخل كل إيديولوجي إرهابي ينتظر من يوقظه"[8].

لقد مارس اليهود ولا زالوا يمارسون الإرهاب ضد غير اليهود، بل وتكونت مجموعات يهودية إرهابية انتشرت عبر العالم لتحقيق مصالح اليهود مستخدمين كل الوسائل لتحقيق آمالهم في الوجود والبقاء والسيطرة، وإيمانا منهم بأنهم شعب الله المختار "ولو قرأنا التلمود لوجدناه يؤكد أن الإرهاب أداة مشروعة في السياسة، وهو بذلك يؤكد القاعدة السياسية المعروفة "الغاية تبرر الوسيلة" فعندما دخل اليهود أريحا تحت قيادة ملكهم يوشع في العام الألف قبل الميلاد أعملوا السيف في رقاب سكانها، وكان شعارهم حينذاك القتل...فاليهودية تحلل القتل كوسيلة للوصول إلى الأهداف المطلوبة"[9]. ولهذا يعد المؤرخون حركة السيكارى (اليهودية) أخطر حركة إرهابية عرفها التاريخ، هذا بالنسبة للديانة اليهودية، أما في المسيحية التي عرفت بديانة التسامح والسلام، فقد شهد التاريخ المسيحي عددا من حالات العنف والإجرام والإرهاب، بل ولقد استخدم المسيحيون شتى أنواع القتل والعنف من أجل غرس

الأفكار والعقائد المسيحية في غيرهم، وما محاكم التفتيش في الماضي والمجازر ضد مسلمي البوسنة في الحاضر إلا أكبر دليل.

2- في عصر الكنيسة ومحاكم التفتيش والاضطهاد الديني:

وفي العصور الوسطى ومع محاكم التفتيش والاضطهاد الديني رسخت المسيحية أكثر ظاهرة الاضطهاد الديني زمن سيطرة الكنيسة، حتى مورس هذا الإرهاب على المسيحيين أنفسهم ممن رفضوا بعض تعاليم الكنيسة كالعلماء أمثال غاليليو غاليلي (Galileo Galilei)، حيث انتشرت في هذه العصور كما هو معروف محاكم التفتيش وموروست كل أشكال العنف والتعذيب، "وكان استخدام الإرهاب من قبل روبسير (Robespierre) بدافع تثبيط الثورة المعادية للكنيسة خلال فترة الثورة الفرنسية"[10]. ولقد استخدم الإرهاب بين المسيحيين أنفسهم في صراعاتهم العقدية بين الكاثوليك والبروتستانت، "وقد سجلت العصور الوسطى أبشع وأعنف صنوف البطش والعنف متمثلة في محاكم التفتيش التي نصبها الباباوات للانتقام من كل من لا يدين بالولاء للكنيسة البابوية، ومع بداية القرن السابع عشر بدأت سيطرة الدول الأوربية على البحار العالمية...وظهرت القرصنة البحرية التي اعتبرت شكلا من أشكال الإرهاب...إلا أن الإرهاب لم يتبلور كواقع إلا في عام 1793م كان ذلك في عهد الرهبة في فرنسا"[11].

ولهذا يعتبر الكثير الإرهاب من ابتداع الثورة الفرنسية، لأن هذه الثورة شرعت مضامين تقتضي بمداهمة منازل المشبوهين الذين وقفوا ضد الثورة، لتجريدهم من السلاح، وبعدها ارتكبت مجازر في حقهم، وهو ما جاء في نص الخطاب الذي ألقاه ممثل الثورة عندما قال: "لقد حان الوقت للمساواة كي تعمل منجلها لحصد الرؤوس[12]. وبهذا المعنى فقد تكرس الإرهاب كركن أساسي من أركان النظام السياسي، بل ولقد أصبح الإرهاب هو أساس العدالة، ولكن الثورة الفرنسية انقلبت على نفسها وبدأت في تصفية روادها عندما قتل روبسبير _كما قلنا سابقا_ عندما اتهم بممارسة الإرهاب، وحكم عليه بالموت في ساحة الثورة باعتباره إرهابيا.

3- في العالم الإسلامي ومفهوم الفرقة الناجية والتناحر المذهبي:

أما العالم الإسلامي ومن منطلق مفهوم الفرقة الناجية وظهور التناحر المذهبي، فقد عرف بعد عهد النبوة حوادث كثيرة امتازت بالعنف سواء من طرف أفراد أو جماعات منظمة، ولقد أخبر الرسول _صلى الله عليه وسلم _ عن الفرقة الناجية، كما أخبر عن خوارج الأمة، وأن التناحر المذهبي سيكون في هذه الأمة، كما كان في اليهود والنصارى، ولقد اختلفت الآراء حول الفرقة الناجية مما أدى إلى شيوع كثير من الأحاديث الموضوعة التي تبرأ فرقة وتجرم أخرى، بل وتسب حتى الصحابة رضي الله عنهم، كما استخدمت هذه الأحاديث الموضوعة والتأويل الخاطئ لها ولآيات القرآن في إرهاب الآخرين وجواز قتلهم وقتل أولادهم وسبي بناتهم، كما استخدمت في الصراع السياسي حول الخلافة والإمامة ومن أحق بها، "وعلى المستوى التنظيمي يرجع العلماء والمؤرخون التطرف الديني في العصر الإسلامي إلى فرقة الخوارج التي انبعثت عند العديد من الحركات المنشقة التي شهدها التاريخ الإسلامي"[13].

وما هو معروف في التاريخ الإسلامي أن كثيرا من الصحابة والخلفاء تعرضوا للقتل، وأن حركة الخوارج ظهرت بعد واقعة التحكيم بين علي ومعاوية، حيث كفر الخوارج عليا رضي الله عنه، كما كفروا معاوية والحكمين أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص، وهنا بدأت فتنة التكفير واستباحة دماء المسلمين، وبعد هذه الحركة عرف المسلمون حركة أخرى مارست العنف والإرهاب ألا وهي حركة "الحشاشين" فهم "من أكبر الحركات التي

استخدمت العنف، وهي حركة من فروع الشيعة (...) ابتكرت أسلوب الاغتيال السياسي بديلا عن الحرب(...)ومن أبرز محاولاتها الفاشلة محاولاتها لأربع مرات في اغتيال صلاح الدين الأيوبي (...) وإلى هذه الجماعة يرجع الفضل في ابتكار الإرهاب كبديل للحروب التقليدية مستخدمين الاغتيال كوسيلة أساسية لذلك، حتى أن معنى كلمة اغتيال في الإنجليزية (Assassin) مشتقة من اسم الجماعة (Ashashin)"[14]، ومن بين الأعمال الإرهابية في العهد الإسلامي مذبحة الخندق في الأندلس، ومذبحة المماليك.

وبهذا يظهر أن الإرهاب كأداة في الصراع ليس جديدا في تاريخ الإنسانية، وأنه لم يولد مصادفة بل دفعت إليه عدة عوامل وظروف، وقد استخدم الإرهابيون منذ القديم عدة طرق ووسائل لكنه ظل أمرا داخليا، إلا أن تطور حضارة الإنسان علميا وتكنولوجيا، جعل من هذه الظاهرة تتطور بدورها وتنتشر بشكل أكبر ويظهر ما يسمى بالإرهاب الدولي العابر للقارات وغيره، بل وارتبط الإرهاب بالدين الإسلامي حيث "تعود الناس في العقود الأخيرة على الأقل أن يربطوا بين الإسلام والإرهاب، ويجعلوا الإرهاب نتيجة حتمية لا تنفك عن الإسلام، فحيثما وجد الإسلام حل الإرهاب"[15]. وساعد على نشر هذه الصورة الخاطئة عن الإسلام وسائل الإعلام الغربية، التي "تفننت في تضخيم أفعال العنف المنسوبة لجماعات التطرف باسم الدين الإسلامي (...) أدى هذا إلى أن يرتبط عنف التطرف الديني _في أذهان الناس_ بالدين الإسلامي"[16].

وهناك جماعات متطرفة دينية "تسابقت في التفنن في أشكال العنف بهدف الترهيب (...) والأسلوب نفسه عرفته خلال الأزمنة السابقة اليهودية والمسيحية عندما زاول بعض رجال الدين الأسلوب الذي يزاوله اليوم من يشار إليهم بأمراء الجماعات الإسلامية"[17].

ونظرا لانتشار هذه الجماعات الإسلامية رأى بعض مفكري الغرب "أن الإسلام هو في الواقع دين إرهابي، وبالتالي فإن مصطلح (الإرهابيون الإسلاميون) هو مصطلح صحيح وإن التاريخ القديم للإرهاب الإسلامي يجد تفسيرا للجوء إلى استعمال الإرهاب السياسي من قبل الإرهابيين الإسلاميين في الوقت الحاضر"[18].

4- في العالم الحديث والمواجهة بين الحداثة والكنيسة والدولة بالمعنى العلماني والعقد الاجتماعي الشامل:

يعتقد البعض أن الإرهاب في العصر الحديث ارتبط بحركات التحرر من المستبد والمستعمر وبالثورات، لهذا يلجأ الطرف الأقوى إلى وصف الثورة والثوار الرافضين للاستعمار بالإرهابيين، وهنا لا بد من التمييز بين القوة المشروعة وغير المشروعة، بين العنف المشروع وغير المشروع، بين المقاومة والثورة والجهاد والإرهاب، فكما يوجد الإرهاب يوجد الإرهاب المضاد، وعادة ما يلجأ النظام غير الشرعي إلى الإرهاب، وهو ما يعرف بالإرهاب السياسي، وكمثال عليه ما حدث في الثورة الفرنسية، "فاللجوء إلى الإرهاب كوسيلة من وسائل إدارة الدولة له تاريخ عريض (...) ففي عام 1773 بدأ عهد الرعب عندما أعلن مجلس قيادة الثورة الفرنسية بعد إعدام الملك الفرنسي لويس السادس عشر بالمقصلة "إن الرعب هو قانون اليوم"[19].

ولقد كانت المواجهة بين الحداثة والكنيسة والدولة بالمعنى العلماني، فحدثت أعمال إرهابية باسم الحداثة وأخرى باسم الكنيسة، "ولقد مارست أول حكومة فرنسية بعد ثورة عام 1787 الإرهاب لتحقيق غاياتها السياسية (...) وعلى ذلك يتضح أن الحرية كانت هي الضحية الأولى للثورة، وكانت في ذات الوقت هي المبرر لأعمال الإرهاب التي ظهرت بعد قيام الثورة"[20].

ولقد وصفت مرحلة الحكم في فرنسا في تلك الفترة بإرهاب الدولة، واعتقد الكثير أن الدولة لا تمارس الإرهاب لأنه من صنع الضعفاء، وهذا تصور خاطئ، لأن إرهاب الدولة نتج عنه ما يسمى بالعنف المضاد، ونتج عن ذلك أن ظهرت منظمات إرهابية، "وفي القرن التاسع عشر ظهرت لأول مرة فكرة التنظيم الإرهابي السياسي في المجتمعات السرية في إيطاليا واسبانيا، وفي منتصف القرن ذاته انتقلت هذه الفكرة إلى الألمان قبل أن يعرفها الروس"[21].

ومن أشهر الحركات في العصر الحديث التي مارست الإرهاب "العدمية" والتي تعود أصولها إلى الحركة الفوضوية والتيارات الاشتراكية الثورية، وقد قام هؤلاء بعمليات إرهابية مثل اغتيال القيصر ألكسندر الثاني، كما مارسوا عدة طرق إرهابية كالاغتيالات، وحمل القنابل والمتفجرات وغيرها حيث "يؤمن العدميون بأن العمل الإرهابي قائم على تصفية رجال الحكم، لذا فقد تم التركيز على استعمال الإرهاب كوسيلة للحط من هيبة وقدرة السلطة الرسمية ولإثارة الميول الثورية عند الشعب...وقد جاء في البيان الصادر عن مؤتمرهم المنعقد في مدينة "سارا توف" سنة 1893م أن الإرهاب السياسي هو النهج الوحيد الذي يهيئ لنا أوفر فرص النجاح"[22].

ولقد اتبع العدميون والفوضويون طرقا إرهابية مختلفة ونهجا خاصا بهم، وعادة ما يكون الإرهاب في نهجهم "من الأسفل إلى الأعلى، أي من الشعب نحو رأس الهرم السلطوي، في موازاة مع الإرهاب النازل من الأعلى إلى الأسفل. وهذان النموذجان الرئيسيان من الإرهاب اللذان ما زالا حتى اليوم في جدلية العلاقة بين السلطة الرسمية والمواطنين، وبين هذين النموذجين تصطف أشكال الإرهاب على مدى التاريخ السياسي والاجتماعي، إرهاب السلطة لتثبيت الحكم، وإرهاب مقابل لهدم الحكم"[23]. وهنا نؤكد على حقيقة تاريخية وهي أن الإرهاب قد انتقل من السلطة الحاكمة والدولة إلى أيدي الأفراد والمحكومين، وهو ما عرفته _كما ذكرنا سابقا_ حركتان ثوريتان هما العدمية والفوضوية "فالفوضوية مارست الإرهاب من قبل المحكومين أو الشعب ضد طبقة معينة في المجتمع هي البرجوازية أساسا أو ضد الحكام وضد المؤسسة الكبرى.

إذن فهناك جدلية بين العنف والإرهاب والدولة، يتمثل في استعمال العنف والإرهاب لإسقاط النظام والسلطة، كما يوجد إرهاب الدولة لتثبيت السلطة والحكم، وهذا ما يسمى بالإرهاب والإرهاب المضاد، وقد حدث مثل هذا النموذج مع الثورة الفرنسية، حيث "أثبتت الثورة الفرنسية في إحدى مراحلها وبرهنت جدوى الإرهاب في تصميد السلطة، كما استولت الثورة البلشفية (1917) على السلطة بعد أن لعب إرهاب الضعفاء لمدة خمسين عاما دورا فعالا في اهتراء النظام القيصري وفي خلق الظروف لإنجاح الثورة"[24]. وهنا يصعب تسمية الثورة بالإرهاب، حيث تتداخل المصطلحات، كما أن الإرهاب يقوم على أساسين هما الأساس السياسي والأساس السيكولوجي، من حيث أنه يقوم على الرعب لتغيير النظام. وإن النظر إليه غير واضح، فهناك من يعتقد أن استخدام الإرهاب من طرف المحكومين ضد الدولة يعد عملا غير قانوني. أما استخدامه من طرف الدولة ضد المحكومين فيعد عملا قانونيا وهذه النظرة المزدوجة هي التي عقدت من مفهوم الإرهاب وأهدافه وتمييزه عن غيره من المفاهيم التي قد تتداخل معه.

فالكلمة في اللغة العربية مأخوذة من الرهبة والتخويف، وكما جاءت في القرآن الكريم في قوله تعالى﴿ ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ (سورة الأنفال، الآية 60) فإنها تفيد معنى التخويف وسيلة دفاعية القصد منها زجر العدو ولهذا هناك من يفهم هذه الآية على أنها تحث على العنف والإرهاب، وهذا فهم قاصر وغير صحيح، استغل من طرف أعداء الإسلام للترويج لمثل هذه الأفكار وغيرها، من مثل أنّ الإسلام دين دموي، وأنه انتشر بحد السيف؛

فالإسلام ليس دين إرهاب، بل دين سلام، بل وله فلسفة في السلم والسلام لم تصل إليها الفلسفات الغربية بعد. وإذا أخذنا هذا المصطلح في اللغة الانجليزية "terror" فهي لا تعني الخوف والرعب، بل تعني عمليا إبادة للبشر لأسباب سياسية وعسكرية أو اجتماعية أساسها التعصب والأنانية التي تدفع الإنسان إلى البطش بغيره لتحقيق مصالح شخصية"[25].

ونحن هنا لسنا بصدد ضبط مفهوم الإرهاب، بل الإشارة فقط إلى اختلاف النظرة إليه ومن ثمة اختلاف مفهومه.

5- في العالم المعاصر وظاهرة العولمة والفرق بين المقاومات السلبية والإيجابية:

وبعد أن عرف العالم تطورا علميا وتكنولوجيا واقتصاديا، وبدأت العولمة تتمظهر وتغزو جميع الميادين والبلدان بدأ مفهوم جديد للإرهاب كمفهوم، كما تغيرت أسبابه وأهدافه ودوافعه وعوامله، حيث ظهر الإرهاب التكنولوجي العابر للقارات والإرهاب البيولوجي والنووي وغيرها، حتى أن هناك من يعتقد أن الإرهاب المعاصر وليد العلم والعولمة وما فرضته من أحادية، ومن هيمنة وما قادت إليه من بؤس وفقر وشقاء، كما يرى البعض الآخر أن الإرهاب العالمي أو الدولي بدأ ببداية تاريخ جديد أي منذ أحداث 11 سبتمبر _أيلول 2001، حيث اصطدم الإرهاب بالعولمة فظهر الإرهاب المعولم، بمحاولة فرض نظام أحادي سياسيا وثقافيا على العالم، نظام القوي على الضعيف، بل نستطيع أن نقول منظومة، لأن هذه المنظومة هي التي تحدد المفاهيم، لكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو كيف ارتبط الإرهاب بالعولمة؟ ولماذا؟

"لو أردنا فهم علاقة الإرهاب بالعولمة كظاهرتين كونيتين إحداهما عابر وظرفي (الإرهاب) والأخرى كصيرورة اقتصادية وثقافية (العولمة) لكان من الواجب مساءلة السلوك الذي امتزجت فيه الظاهرتان في أقوى صورهما، أي يوم تهاوت إحدى قلاع الثورة العسكرية والمالية بالولايات المتحدة"[26]. وهما برجا التجارة العالمية فهذان البرجان يمثلان رمز القوة والسيطرة والإرهاب الاقتصادي، فكل من العولمة والإرهاب تطرف، وكما يقال لكل فعل رد فعل فمقاومة العولمة في حد ذاتها تعد مقاومة إيجابية، لأن إرهاب العولمة أشد من الإرهاب في حد ذاته، فهي تشتت الدول والأمم بدل أن تجمع، وتحاول القضاء على اقتصاديات الدول وهوياتها وخصوصياتها الثقافية، كما تحاول فرض نموذج واحد سواء أكان اقتصاديا أم ثقافيا وحضاريا على جميع الأمم والشعوب، "وعلى هذا الأساس فمن الوارد اعتبار العولمة شريكا للإرهاب تنمي عناصره وتقوي أدواته وتدفع به إلى أقوى العنف ليرتد عليها نهاية المطاف"[27]. فالعولمة هي التي خلقت للإرهاب بنيته المادية، كما فتح الإرهاب للعولمة طرق التوسع والانتشار وهنا يقول صاحبا كتاب علم الإرهاب "فالعولمة هي التي أوصلت الإرهاب إلى أمثل صوره"[28].

وكما جاء في تقرير القمة العربية المنعقدة في بيروت سنة 2002 "إن الشعور بغياب العدالة في أي مكان من هذا العالم يمكن أن يشكل بيئة خصبة لتفشي العنف والإرهاب"[29].

وبما أن العولمة تعتمد كثيرا على وسائل الإعلام في انتشارها وفرض هيمنتها، فإن لوسائل الإعلام دورا كبيرا في النظر للإرهاب وصوره، والحكم على ما يعد عملا إرهابيا من غيره، وحتى في انتشار الإرهاب، وبما أن وسائل الإعلام مسيطر عليها من القوى الغربية التي تريد فرض الهيمنة، فإنها هي التي تصور من تشاء وتصف من تشاء بالإرهاب، والدليل هو أنه لا يخفى علينا نظرة الغرب اليوم للإسلام كدين وللمسلمين كأمة، "فعندما

تعرض وسائل الإعلام الغربية المسلمين فإنها تحرص على أن تظهرهم بوصفهم علماء شريعة ملتحين ومتعصبين أو إرهابيين لا يتوقفون عن استخدام العنف"[30].

ولقد زاد موقف الغرب كرها وحقدا على المسلمين، بل وربط اسم مسلم بالإرهاب بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، حيث وجدت الولايات المتحدة الأمريكية الحجة الكافية للدخول في صدام حضاري مع الإسلام والمسلمين، وبدأ الاعتداء على الأمة الإسلامية، من منطلق البحث عن عدو جديد، فبعد نهاية التاريخ وسقوط الشيوعية، وزوال المعسكر الشرقي وانتصار الديمقراطية، اعتبر المفكر الأمريكي صاحب الأصول اليابانية فرانسيس فوكوياما (Francis Fukuyama)، أن التاريخ قد انتهى، ولابد من بداية تاريخ جديد يبدأ من البحث عن عدو جديد للغرب، فكان هذا العدو المفترض هو الإسلام، أو ما يسمى بالخطر الأخضر يقول فرنسيس فوكوياما "إن الديمقراطية الليبرالية بإمكانها أن تشكل فعلا منتهى التطور الإيديولوجي للإنسانية والشكل النهائي لأي حكم إنساني، أي أنها من هذه الزاوية نهاية التاريخ"[31]، وجاء بعده مفكر أمريكي آخر وهو صموئيل هنتنجتون (Samuel Huntington) وقال بالصدام بين الغرب الديمقراطي والإسلام الراديكالي الاستبدادي التوتاليتاري على حسب زعمه، يقول هنتنجتون: "إن البعد الرئيسي والأكثر خطورة في السياسة الكونية الناشئة سوف يكون الصدام بين جماعات من حضارات مختلفة"[32]. موضحا موقفه ومقولته هذه بقوله: "غير أن الصراعات الأساسية في السياسة الدولية ستقع بين دول وجماعات صاحبة حضارات مختلفة وسيهيمن صراع الحضارات على السياسة الدولية، وستكون الفوارق الفاصلة بين الحضارات بمثابة خطوط القتال في المستقبل"[33] ويقصد هنا بالفوارق، الفوارق الثقافية الحضارية والعقائدية الدينية، مشيرا بذلك للإسلام، فكانت أحداث 11 سبتمبر 2001 المحرك الأساسي للغرب لكي يعيد بناء تاريخ جديد، معلنا الحرب على الإسلام باسم الحرب على الإرهاب، وكما يقال لكل فعل رد فعل"، لكن ردود الأفعال هذه ازدادت عمقا عقب حدث الحادي عشر من سبتمبر ومطالبة الولايات المتحدة الأمريكية بتعديل التحول صوب الديمقراطية، بعد أن ربط التفكير الاستراتيجي الأمريكي بين الإرهاب والاستبداد"[34].

يقول توماس فريدمان (Thomas Friedman) "إذا كانت أحداث 09/11 قد أطلقت شرارة الحرب العالمية الثالثة يتوجب علينا فهم دوافع هذه الحرب، لأننا نحارب للقضاء على الإرهاب فقط، فالإرهاب لا يتعدى أن يكون سوى أداة في هذه الحرب، بل نحن نخوض حرب إيديولوجية: إيديولوجيا دينية كليانية توتاليتارية"[35].

ولكن، إذا نظرنا إلى التحليلات الأولى لظاهرة الإرهاب وتناميها وتدرجها التاريخي نستنتج أن هذه التحليلات تركز على الجانب السياسي الاقتصادي لتفسير هذه الظاهرة والحكم عليها، أو تبرر وجودها انطولوجيا كذلك النظر لظاهرة العنف، فالارتباط بين الإرهاب والعنف ارتباط قوي، لكن ليس كل عنف إرهابا، لأن من العنف ما هو مشروع وإيجابي كمقاومة الاستعمار، ومنه ما هو غير مشروع، كالاعتداء على الآخرين سواء في أنفسهم أو ممتلكاتهم، لكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن: ما هو موقف الفلسفة من الإرهاب والعنف؟ كيف نظر الفكر الفلسفي لظاهرتي الإرهاب والعنف؟ هل هناك فلسفة للإرهاب والعنف (أي فلسفة تفسر لنا هاتين الظاهرتين)؟.

6- التحليل الفلسفي للإرهاب والعنف:

للإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها ارتأينا أن نأخذ نموذجا من الفكر الفلسفي الغربي ممثلا في مدرسة فرانكفورت قبل أن نتكلم عن هذه الظاهرة في النظم العربية والفكر العربي الإسلامي، وسنأخذ من الفكر الغربي بالضبط

الفيلسوف الأمريكي ذا الأصول الألمانية هربرت ماركوز (Herbert Marcuse)[*]، هذا الأخير يربط هاتين الظاهرتين خاصة بالسلطة والنظام والثورة، لهذا نجده يميز بين العنف المشروع وغير المشروع، محددا كيف يتحول العنف إلى ثورة وكيف يقود إلى الإرهاب، فإذا كانت الثورة العنيفة أساس التغيير، وإذا كان لا بد منها، فإن هذه الثورة لا يمكن أن تحدث عفويا أو تلقائيا، فقد اشترط ماركوز لنجاحها التنظيم والوعي وأن تكون هادفة للتحرر وتغيير النظام والقضاء على التسلط، وعليه فهناك ظروف إذا ما توافرت قد تحدث الثورة، ولقد حدد ماركوز بعضا منها كالاضطرابات العامة والرفض الكبير والمظاهرات، وكذلك التمرد، هذا الأخير يكون موجها على الخصوص ضد القمع الذي تمارسه السلطة والنظام، لكن هذا التمرد قد يكون في حالات كثيرة عنيفا مما جعل البعض يصفه بالإرهاب، وهنا نجد ماركوز يرى أن التمرد إذا كان ضد القمع والاضطهاد والتسلط لا يمكن أن يعد إرهابا، وبناءً عليه يرتبط كثيرا مفهوم القمع عند ماركوز بمفهوم التمرد تمييزا له عن الفعل الإرهابي، ومن هنا سنتناول هذه الفكرة حتى نستطيع أن نميز بين التمرد والعنف الثوري والإرهاب.

فإذا كان العنف كوسيلة للتغيير والتحرر عند ماركوز، فإن الإرهاب مرفوض في أي فكر مهما كانت مبرراته ومن أي نظام مهما كانت أهدافه، وهذا ما يجعلنا نقول إن ماركوز ميز حقيقة بين القوة والثورة والعنف والإرهاب.

وبحسب ماركوز فقد شكل خطاب الإرهاب في هذا العصر إحدى أكبر التحديات أمام الدول والسلطات، بل لقد أصبح الخطر الأكبر الذي يهدد وجود الدولة وسلطتها وحتى المجتمعات، ولقد اختلفت الآراء حول مفهومه وأنواعه وعلاقته بالعنف (المشروع وغير المشروع) والثورة، كما ذكرنا سابقا، وكثيرا ما اختلطت المفاهيم وأصبح المفكرون يتكلمون عن إرهاب الأفراد، وإرهاب الجماعات وإرهاب الدولة، من جهة، وإرهاب محلي وإرهاب دولي عابر للقارات، إرهاب سياسي، وآخر عقائدي وإرهاب اقتصادي من جهة أخرى، ووجدت الدول نفسها أمام تحد كبير يهدد وجودها، ومن هنا سنتطرق إلى الإرهاب في الفكر الفلسفي؟ وكيف حدث؟ وما علاقته بالعنف؟

يرى شعبان الطاهر الأسود أنه "عندما تكون ضحية العنف المتعمد تخدم هدفا سياسيا والضحية بريئة تلك العملية تسمى إرهابا"[36].

أما كيف تحدث ظاهرة الإرهاب حسب ماركوز، فإن ذلك يعود بالأساس إلى احتكار السلطة والاضطهاد والقمع وهو نفس التحليل الذي يسقطه ماركوز على الثورة والتمرد والتحرر وغيرها، لكنه بالمقابل يميز بين هذه الأفعال وأسبابها ودوافعها، كما يميز بين نتائجها، وهنا يقول عن الإرهاب: "إن الميل إلى احتكار السلطة تقاومه قوتان: فمن جهة أولى تؤكد الخطة المركزية نفسها بالرغم من وقفاتها الفجائية (...) ومن الجهة الثانية يخضع مجموع البيروقراطية حتى أعلى درجة لمهماز الإرهاب، أو بعد تراخي هذا الأخير للتطبيق غير المتوقع للتدابير السياسية أو العقوبات تفضي إلى فقدان السلطة يقينا"[37].

فالأنظمة الدكتاتورية (البيروقراطية) أنظمة قمعية إرهابية، لأن هذه الأنظمة تسيطر على مراكز السلطة والقوة وتمارس عنفا غير مبرر بغرض حماية النظام ومن هم في النظام ومصالحهم، ولهذا كانت "الخطة المركزية نفسها مرسومة من قبل البيروقراطية في تشعبات النظام الرئيسية: الدولة الحزب القوات المسلحة، الجهاز الاقتصادي (...) ولقد لعبت العلاقة (بينها) دورا هاما أيضا في تطور الإرهاب"[38].

وبسيطرة الأنظمة وتسلطها وممارستها للقمع، فقد برز مصطلح جديد هو مصطلح "الإرهاب السياسي" وعلى الرغم من كثرة الدراسات حول هذه الظاهرة إلا أن الاختلاف كان جد كبير بين المفكرين وفلاسفة السياسة حول

تحديد مفهومه، وأهدافه، وارتباطه بالعنف، والعنف الثوري، وحركات التمرد والتحرر والثورة وغيرها، فشعبان الطاهر الأسود يرى "أن الإرهاب السياسي على أيّ حال تختلف دوافعه (...) فالهدف الأخير من أعمال الإرهاب في بعض الأحيان ربما يكون الثورة على الأوضاع القائمة"[39].

لكن ألا يطرح هذا سؤالا حول مشكلة الفرق بين الإرهاب والثورة! والمعروف أن كثيرا من أعمال الإرهاب تمتاز بالعنف، وربما هذا ما جعل الكثير يرى في العنف السياسي صورة من صور الإرهاب، وبالتالي فضحاياه ليسوا أبرياء خاصة إذا كانوا ينتمون إلى دولة عدو، لكن هذا في حالة الصراع بين الدول، بينما الإرهاب الأكثر تطرفا هو الإرهاب المحلي الذي يكون داخل الدولة الواحدة، وخاصة إذا كان موجها نحو النظام بغية إسقاطه، وكما ذكرنا سابقا فهناك إرهاب الأفراد والجماعات والدول، وما الإرهاب في الحقيقة إلا استعمال غير مشروع للعنف لكن العنف الثوري لا يعد إرهابا، لاسيما إذا كان أصحابه يطالبون بالتحرر من قوة مستعمرة أو مضطهدة أو من سلطة قمعية، وهنا نجد ماركوز يفرق بين الإرهاب والعنف من حيث أن "الإرهاب هو التضييق المركزي المنهجي للعنف غير المتوقع (غير المتوقع بالنسبة لضحايا الإرهاب) وبالنسبة أيضا إلى الفئات العليا، وحتى بالنسبة إلى الذين يمارسون الإرهاب"[40].

لكن هناك سؤال أساسي جعل المفكرين في جدال واختلاف حول الظاهرة وأبعادها، ألا وهو هل الإرهاب من صنع المجتمع أم السلطة؟.

يرى كثير من المفكرين والسياسيين، أن الإرهاب ظاهرة اجتماعية سياسية، لكنه ليس من صنع المجتمع دائما، بل قد يكون من صنع النظام، وفقا لقاعدة "الفعل ورد الفعل"، وهنا يؤكد أحد المهتمين بهذا الظاهرة وهو شعبان الطاهر الأسود عندما يقول: "وبكل أسف فإن بعض الجماعات التي تمارس الإرهاب والعنف أوجدها النظام السياسي ليستعملها كجماعات قتالية لإبقاء الناس على الولاء لذلك النظام، وبعضها الآخر تستعمله الدولة ضد دولة أخرى"[41]. هذه الجماعات التي صنعها النظام تمارس عنفا، لكنه عنف غير رسمي، فهي وسيلة في يد النظام لتبرير بقائه في السلطة ومحاولة كسب الجماهير، لأن النظام عندما يظهر هذه الجماعات الإرهابية في صورة التدمير يجعل ذلك الجماهير تطالب الدولة بالتدخل لحمايتها، وهنا سيكون الولاء المطلق للنظام ويصبح بالتالي الإرهاب وسيلة للدولة للتقرب من المجتمع كما يرى ماركوز، "وإن كان هذا الإرهاب يتقرب من نظام اجتماعي تنافى بطبيعته، وذلك بمقدار ما تكف فيه عمليات القمع عن أن تكون عنيفة، وعلى سبيل المثال سحب الثقة أو تخفيض الرتبة"[42].

وهنا يرتبط فعلا الإرهاب بنوعية النظام السائد سياسيا واقتصاديا، كما ذكرت ذلك حنة أرندت، خاصة في الأنظمة التي يصفها ماركوز بالشمولية الكليانية (التوتاليتارية) حيث تقول حنة أرندت عن هذه الأنظمة الإرهابية: "إنه في البلدان التوتاليتارية يتلازم الإرهاب والحملة الدعائية، حتى ليكونا وجهين لعملة واحدة، غير أن ذلك جزء من الحقيقة ليس إلا، إذًا إن حلت التوتاليتارية في استخدام رقابتها المطلقة "بدلت" الدعاية بالتلقين العقائدي وشرعت في استخدام العنف لتحقيق عقائدها الإيديولوجية"[43].

فالعنف الإرهابي يتوجه بالدرجة الأولى إلى خدمة أغراض إيديولوجية لهذا يكون خطرا على الفرد والمجتمع والدولة والسلطة مهما كانت مبرراته، وهذا ما جعل ماركوز يميز كذلك بين نوعين من الإرهاب في وظيفته التاريخية يمكن أن يكون تقدميا أو رجعيا، حسبما يهيئ فعليا أو لا يهيئ لتفتح المؤسسات الليبرالية والاستخدام

العقلاني للقوى المنتجة بفضل تدمير المؤسسات القمعية"[44]. وما وصف ماركوز الإرهاب بالتقدمي إلا بعد أن ربط وظيفته بتدميره للأنظمة التسلطية القمعية الشمولية، وهذا هو المفهوم الإيجابي للإرهاب حسب ماركوز، وفي هذا السياق يتأكد التمييز بين الإرهاب والعنف، حيث نجد حنة أرندت_ مرة أخرى_ تميز بينهما وتربط هذا التمييز بنوعية الأنظمة المختلفة، كما فعل ماركوز الذي يقول: "إن الفارق الحاسم بين الهيمنة التوتاليتارية القائمة على الإرهاب والطغيان والدكتاتورية القائمة على العنف، يكمن في أن الأولى لا تقف فقط ضد أعدائها، بل كذلك ضد أصدقائها ومناصريها حيث إنها تكون على رعب من كل سلطة"[45].

فصديق ومناصر الأمس يصبح عدوا عند الإرهابي اليوم، إذا خالفه في آرائه وتصوراته، ولهذا يقال "إن الإرهاب لا دين ولا ملة له" ولذا ترفضه جل القوانين والشرائع، لذلك نجد الأمم المتحدة ترجع الإرهاب إلى أعمال كثيرة وليس إلى سبب واحد خاصة الإرهاب السياسي، ففي وثيقة خاصة أصدرتها الأمم المتحدة حول الإرهاب جاء فيها "يعود نشوء الإرهاب السياسي إلى أعمال القمع التي تمارسها الأنظمة الاستعمارية والعنصرية والأجنبية ضد الشعوب التي تناضل من أجل تحررها وحقوقها المشروعة في تقرير مصيرها واستقلالها في حرياتها الأساسية الأخرى"[46].

وهذه الوثيقة تؤكد أن أعمال التحرر من الاستعمار والاضطهاد والقمع رغم أنها تسمى في ظاهرها إرهابا من طرف خصومها، إلا أنها مشروعة، وعليه نجد مشكلة كبيرة في تحديد الأعمال التي تسمى إرهابا، والتي لا تعد إرهابا، كذلك هل معنى ذلك أن للإرهاب دورا إيجابيا خاصة إذا ارتبط بالثورة العنيفة والتمرد من الطغيان والديكتاتورية والاستعمارية والقمع البرجوازي؟.

هنا يجب عدم الوقوع في الخلط، "فكيف نخلط بين أولئك الذين يقاومون النظام السياسي من أجل قيام ديمقراطية حقيقية يكون فيها الحكم للشعب وبالشعب، وبين أولئك الذين يقاومون النظام السياسي من أجل مكاسب شخصية ومادية ونسمي كلا العملين إرهابا"[47]. وهنا يحذر ماركوز من نتيجة مفادها أنه لو حدث أن انتصر العنف الفوضوي على السلطة فإن النظام الجديد الذي يواكب انتصار العنف على السلطة يكون واضحا بشكل خاص حيث يتم استخدام الإرهاب من أجل الحفاظ على الهيمنة"[48]. وبهذا تنشأ جدلية المشروع وغير المشروع لترتبط بالإرهاب المشروع وغير المشروع، وذلك في خضم الصراع على السلطة، فعنف الإرهاب يسعى إلى تدمير السلطة وإرهاب السلطة يسعى إلى الحفاظ على النظام والهيمنة، ومن هذا هل يصبح هنا العنف إرهابا والإرهاب عنفا بالضرورة؟

في الإجابة عن هذا السؤال يقول في ذلك جان بودريار (Jean Baudrillard) وادغار موران (Edgar Morin) في الصلة بين العنف والإرهاب والعولمة: "ولعل ما يجري بذريعة محاربة الإرهاب ومواجهة الإرهاب وباسم الإرهاب وردا على الإرهاب من حوادث قتل واغتيالات وتفجيرات وتصفيات دموية وأعمال انتحارية...الخ يعطي الصورة الأسوأ عن العولمة"[49]. ونحن في زمن العولمة التي أسست لخطابات كثيرة منها خطاب العنف والإرهاب، "فخطاب العولمة المعاصر يؤسس لعنف لم يسبق للبشرية أن شهدت مثله، إنه يعمل على الإلغاء وتجاوز الآخرين دون وضعهم في الاعتبار إنه يتجاوزهم ويلغيهم اقتصاديا وثقافيا، ويعمل على الاستيلاء على مواقعهم"[50].

ولعل العنف والإرهاب في زمن العولمة هما أخطر وأفحش، من منطلق إن العنف الذي كان يمارسه الإنسان سابقا ربما يرتبط بالدفاع عن الذات أو الآخرين، أو يرتبط بالحرب أو بالصراعات الإقليمية أو غيرها، أما اليوم فالعنف والإرهاب لهما بعد أنطولوجي ذاتوي، فهما يقومان على إلغاء وجود الآخر، بل إن الآخر في هذه الحالة هو الجحيم، وإن وجوده هو قضاء على إمكانيات وجودي وبقائي، وكل هذا كرسه النظام المعولم للعالم، بهذه الصيغة يفكر الإرهابي، "وليس الإرهاب الذي بات من كثرة الاستعمال مألوفا والذي يهدد الجميع، ولا براءة ذمة لأحد، هنا يفصح عن الضخ العجيب لمشاهد العنف هنا وهناك"[51].

خاتمــة

وهنا يشار بأصابع الاتهام للعولمة، وخاصة في إحدى تمظهراتها ألا وهي وسائل الإعلام، حيث أصبحنا نشهد أعمال عنف وإرهاب كنا نحسبها خيالا أصبحت تجسد في واقعنا المعيش، فالعنف أصبح يتمظهر في سلوكيات الكثير، ويجد الإنسان نفسه في وضع عنيف في كثير من المواقف، بل إن مظاهر العنف تجسدت أكثر في أعمال الإرهاب، وكثرت الأحداث العنيفة وزادت أعمال الإرهاب، وبدت محاولة تبرير هذه السلوكيات العدوانية سواء على المستوى المحلي أو العالمي، وهو ما سيعود على العولمة سلبيا، فهي من أوجد هذا العنف. وهذا الإرهاب، وهي من سيجني ثماره، فثمة شبح يلاحق اليوم النظام العالمي هو شبح الإرهاب، ومن هنا نتبين فعلا التفسير الفلسفي لظاهرة الإرهاب، من حيث إن الفكر الفلسفي يحاول فهم الظاهرة في كل أبعادها، ولا يكتفي بالسرد التاريخي أو التحليل الظاهري، من أجل تفكيكها في كل أبعادها النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وبيان خطرها على الفرد والمجتمع، بل وعلى الأمم والدولة القومية، لذا تصدت له الدول وحاربته وإقيمت له ملتقيات وندوات، ودراسات من أجل تفسيره وإيجاد الحلول لهذه الظاهرة العالمية.

الهوامش:

1- حنة أرندت، أسس التوتاليتاريةَ، ترجمة أنطوان أبو زيد، دار الساقي، بيروت، ط1، 1993، ص 251.

2- محمد عوض الترتوري وأغادير عرفات جويحان، علم الإرهاب _الأسس الفكرية والنفسية والاجتماعية والتربوية لدراسة الإرهاب_ دار الحامد، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص 73.

3- محمد عوض الترتوري وأغادير عرفات جويحان، علم الإرهاب، مرجع سابق، ص 73.

4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

5- محمد عبد اللطيف عبد العال، جريمة الإرهاب، دراسة مقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة، (د ط) 1994، ص 22.

6- محمد عوض الترتوري وأغادير عرفت جويحان، علم الإرهاب، مرجع سابق، ص 74.

7- المرجع نفسه، ص 75.

8- أدونيس العكرة، نقلا عن محمد عوض الترتوري وأغادير عرفات جويحان، علم الإرهاب، مرجع سابق، ص 07.

9- أدونيس العكرة، نقلا عن محمد عوض الترتوري وأغادير عرفات جويحان، علم الإرهاب، مرجع سابق، ص 78.

10- محمد عوض الترتوري وأغادير عرفات جويحان، علم الإرهاب، مرجع سابق ص 80.

11- محمود عبد الله محمد خوالدة، علم نفس الإرهاب، دار الشروق، غزة، ط1 2005، ص 68-69.

12- المرجع نفسه، ص 70.

13- محمد عوض الترتوري وأغادير عرفات جويحان، علم الإرهاب، مرجع سابق ص 81.

14- محمد عوض الترتوري وأغادير عرفات جويحان، علم الإرهاب، مرجع سابق ص 83.

15- سعيد حماش، الإسلام والإرهاب، دار الإرشاد، سوريا، ط1، 2011، ص 55.
16- مصطفى عمر التير ورولف فيغرسهاوس، دور الدين في المجتمع، دار الفكر دمشق، ط1، 2011، ص 75.
17- مصطفى عمر التير ورولف فيغرسهاوس، دور الدين في المجتمع، مرجع سابق، ص 76.
18- محمد فتحي عيد، واقع الإرهاب في الوطن العربي، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، الرياض، ط1 1999، ص 59.
19- محمد عوض الترتوري وأغادير عرفات جويحان، علم الإرهاب، مرجع سابق ص 89.
20- محمد عوض الترتوري وأغادير عرفات جويحان، علم الإرهاب، مرجع سابق ص 89–90.
21- المرجع نفسه، ص 91.
22- المرجع نفسه، ص 93.
23- محمد عوض الترتوري وأغادير عرفات جويحان، علم الإرهاب، مرجع سابق ص 93–94.
24- المرجع نفسه، ص 94.
25- سعيد حماش، الإسلام والإرهاب، مرجع سابق، 71.
26- محمد عوض الترتوري وأغادير عرفات جويحان، علم الإرهاب، مرجع سابق، ص 320.
27- المرجع نفسه، ص 321.
28- عن محمد عوض الترتوري وأغادير عرفات جويحان، علم الإرهاب، مرجع سابق، ص 325.
29- نقلا عن محمد عوض الترتوري وأغادير عرفات جويحان، علم الإرهاب، مرجع سابق، ص07 (كلمة الملك عبد الله الثاني في تقريره للقمة العربية في بيروت 2002).
30- هانز كينغ ومحمد سعيد رمضان البوطي، دور الأديان في السلام العالمي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2011، ص 81.
31- فرنسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ترجمة، فؤاد شاهين، جميل قاسم، رضا الشابي إشراف مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1993، ص 23.
32- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات_ إعادة صنع النظام العالمي_ ترجمة طلعت الشايب، تقديم صلاح قنصوة دار سطور، ط2، 1999، ص 29.
33- صموئيل هنتنجتون، الإسلام و الغرب آفاق الصدام، ترجمة، مجدي شرشر مكتبة مدبولي، ط1 1995، ص 05.
34- بشير عبد الفتاح، الخصوصية الثقافية، نهضة مصر، ط1، 2007، ص 35.
35- توماس فريدمان، العالم في عصر الإرهاب، ترجمة محمد طعم، منشورات الجمل، ألمانيا_ بغداد، ط1، 2006، ص 85.
*هربرت ماركوز فيلسوف أمريكي من أصل ألماني، ولد سنة 1898 وتوفي سنة 1976 يحسب على مدرسة فرانكفورت النقدية، من أهم كتبه: الإنسان ذو البعد الواحد.
36- شعبان الطاهر الأسود، علم الاجتماع السياسي، قضايا العنف السياسي والثورة الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2001، ص 29.
37- هربرت ماركوز، الماركسية السوفياتية، ترجمة، جورج طرابيشي، دار الطليعة بيروت، ط1، 1965، ص 91.
38- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
39- شعبان الطاهر الأسود، علم الاجتماع السياسي، مرجع سابق، ص 29.
40- هربرت ماركوز، الماركسية السوفياتية، مرجع سابق، ص 91.
41- شعبان الطهر الأسود، علم الاجتماع السياسي، مرجع سابق، ص 30.
42- هربت ماركوز، الماركسية السوفياتية، مرجع سابق، ص 91.
43- حنة أرندت، أسس التوتاليتارية، مرجع سابق، ص 79.
44- هربرت ماركوز، الماركسية السوفياتية، مرجع سابق، ص 91.
45- حنة أرندت، في العنف، ترجمة، إبراهيم العريس، دار الساقي، بيروت، (د ط) (د ت)، ص 50.
46- نقلا عن، محمد السماك، الإرهاب و العنف السياسي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ط2، 1992، ص 175. (والوثيقة تعود إلى سنة 1973).

47- شعبان الطاهر الأسود، علم الاجتماع السياسي، مرجع سابق، ص 30.
48- حنة أرندت، في العنف، مرجع سابق، ص 49.
49- جان بودريار وادغار موران، عنف العالم، ترجمة، عزيز توما، تقديم، إبراهيم محمود، دار الحوار سوريا، ط1، 2005، ص 35.
50- بيير بورديو، التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، ترجمة، درويش الحلوجي، دار كنعان، ط1، 2002، ص 92.
51- جان بودريار وادغار موران، عنف العالم، مرجع سابق، ص 30.